

ثقافة وقف المخطوطات الإباضية بخزانات وادي مزاب

Waqf of Ibadite Manuscripts' culture in the libraries of M'zab Valley

أ.د. يحيى بن بهون حاج امحمد*

تاريخ الاستلام: / تاريخ القبول:

doi 10.33705/0114-023-004-022

التعريف الرقمي للمقال:

ملخص: يزخر وادي مزاب بالجنوب الجزائري بعدد المكتبات وخزانات المخطوط الخاصة والعامّة، إذ في كلّ قرية من قرى وادي مزاب السبعة تقريباً توجد كنوز تراثية مخطوطة ووثائق ومطبوعات نادرة...

ومع انطلاق حركة فهرسة الخزانات المحليّة منذ تسعينيات القرن الماضي وازدهارها حالياً، اكتشفت العديد من النسخ المخطوطة النفيسة في شتى فنون العلم تقريباً، ومع ازدياد الاهتمام بهذا التراث الخالد وجب الاهتمام أيضاً بثقافة المخطوط عموماً من نسخ وتجليد وتملك وتحييس...

تتعرّض هذه الورقة البحثية إلى التعريف بدايةً بأشهر خزانات المخطوط بوادي مزاب؛ مركّزة على مقتنيات الخزنة العامّة بغرداية، وتحاول تتبع حركة تملك (Ex-libris) المخطوطات بها وتحييسها على العام والخاص (خزانات أو أشخاص) (mettre en biens de mainmorte, constituer habous) وبهذا يتمّ التعرف على الأعلام المحليين الذين أسهموا في الحركة العلميّة مادياً وأدبيّاً، ممّن امتلكوا المخطوطات وأوقفوها على ذرياتهم أو على طلبة العلم في المساجد والمحاضر

*جامعة غرداية، الجزائر، البريد الإلكتروني: yahiabenbouhoun@yahoo.fr (المؤلف المرسل).

وَدُور التَّعْلِيم العَامَّة والخاصَّة، وكذا تتبَع اهتمام المَلَّاك المحليِّين بالمخطوطات وحركة اقتناء وِجَلب المخطوطات من الأماكِن البعيدة... آملاً أن يكون هذا البحث إضافة نوعيَّة لمجال بَحْث المهتمين بالتَّراث الإباضي المخطوط خصوصاً وبثقافة المخطوطات عموماً، وخدمة الباحثين وكل من يريد التَّعرف على الكنوز المعرفيَّة المخطوطة بمزاب.

الكلمات المفتاحيَّة: خزانات المخطوط - مزاب - التَّمَلُّك - الوقف.

Abstract: The south of Algeria, M'zab Valley is thriving of several local and private Manuscript libraries. In each town of the M'zab valley, merely all the seven towns, there is a treasure of manuscripts and rare documents. The initiative of indexing local libraries since the 1990s of the recent century has allowed me to discover precious and valuable manuscript copies in different field of research and science . starting from the importance of this valuable heritage, it is very important also to care more about it and treat the manuscripts through making copies, binding them as books, and so forth...

The present research paper presents the main known libraries in M'zab Valley, more specifically the local library in Ghardaia town. It investigates the process of ex-libris and ex-dono of these documents. As a result, we shall be conversant of the scholars and personalities that served the scientific movement literally and financially. Those people owned the manuscripts to let it as Waqf for their relatives and students in mosques and in local and private education schools. The study allows to know more about the process of owning such documents notably selling and transferring of the manuscripts from different countries.

The researcher is willing to serve the researcher community in the field of manuscripts in general and especially the cultural Ibadit Heritage. It is a resource for every researcher who wants to discover the cognitive treasure of M'zab Valley.

Keywords : Manuscripts'libraries- M'zab- Ownership- Waqf

المكتبات العامة والخاصة في تاريخ الإسلام: المكتبة هي تلك المؤسسة الثقافية التربوية الاجتماعية التي وجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينة من مصادر المعرفة بحيث تنظم وترتب وفق طرق معينة وتحت إشراف فرد أو مجموعة أفراد متدرجين على القيام بأعمال المكتبة وخدمة روادها، وتوجد أنواع مختلفة للمكتبات يمكن حصرها في الأنواع الرئيسية الآتية:

- المكتبات الوطنية أو القومية، والتي تهدف إلى جمع التراث الفكري الوطني للأمة وحفظه والإعلام عنه؛
- المكتبات العامة، وتهدف إلى تقديم الخدمات المكتبية إلى كافة أفراد المجتمع؛
- المكتبات الأكاديمية، وطابعها العام التعليم والبحث العلمي، وتشمل مكتبات الكليات والمعاهد والمدارس؛
- المكتبات المتخصصة، وتهدف إلى تقديم خدماتها للمؤسسة المتخصصة وللعاملين فيها؛
- المكتبات الخاصة، وهي مكتبات الأفراد والعائلات¹.

وقد كانت المكتبات الإسلامية تحرص على أن تملك أكبر كمية ممكنة من الكتب المخطوطة بخطوط مؤلفيها، حيث كانت تتفاخر بذلك، وكانت المكتبات العربية الإسلامية تحصل على كتبها بطرق متعددة، أهمها الشراء والوقف والنسخ، والهبات والهدايا والمصادرة².

النهضة العلمية بمزاب: لقد عرف وادي مزاب جنوب الجزائر نشاطاً معتبراً في مجال التأليف والنسخ واقتناء الكتب فظهرت المكتبات الخاصة والعامة، وذلك رغم بُعد مزاب جغرافياً عن التجمعات السكانية الكبرى وعن المراكز الثقافية المشهورة، وقد ورث المزابيون عن إخوانهم الرستميين والنفوسيين والجرييين حب العلم وطلبه، وقد عُرف ذلك فيهم منذ القرون الأولى من عمرانهم لوادي مزاب وانتشار المذهب الإباضي في ربوعه، ومما ساعد على ذلك: الإشراف الروحي على مجتمعاته من قبل نظام " حلقة العزابة" التي تتولى إدارة شؤون الحياة العامة بها؛ وهذا النظام في أصله تنظيم عملي

تعليمي تربوي³، وقد برزت لهذا العامل آثاراً في مختلف قرى مزاب كمحاضر التعليم المجاورة للمساجد الجامعة في كل قرية من قرى مزاب، ودور التلاميذ إِرْوَان⁴ _ الخاصة بطلبة فنون العلم المختلفة والتي تكون مجاورة للمساجد مثل المحاضر تماماً؛ أضيف إلى ذلك الدُور والبيوت التعليمية التي يقوم بتأسيسها وتوقيفها بعض العلماء وأهل الفضل من حين لآخر.

وقف المخطوطات لغة واصطلاحاً: الوقف لغة: القيام والملازمة والحبس، جاء في لسان العرب: "الوقوف خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفة ووقوفاً، فهو واقف والجمع وُقف ووقوف، ويقال: وقفت الدابة تقف وقوفاً، ووقفتها انا وقفاً، ووقف الدابة جعلها تقف، ووقف الأرض على المساكين وقفاً: حبسها"⁵.

الوقف اصطلاحاً: لا يخرج عن هذا المعنى اللغوي، حيث يحمل معنى حبس الشيء وجعله ملازماً للموقوف عليه، قائماً على مصلحته، وقد عرفه الشيخ امحمد بن يوسف أطفيس بأنه: "وقف مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، لقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، لصرف منافعه في جهة خير، تقرباً إلى الله تعالى"⁶.

يدخل في الوقف: الحبس والوصايا العامة، سواء كانت تحتص بجماعة ما كقبيلة أو حارة أو بلد، أو هي عامة لجميع الناس، والوقف العلمي هو المجمعول للجوانب العلمية كوقف المكتبات، ووقف نسخ الكتب، ووقف نسخ المصحف الشريف وتجليده وتزيينه ووقف المدارس وحلقات العلم، ووقف المتعلمين والمعلمين، ووقف القرايطيس والأخبار والأقلام⁷.

ومن التعاريف المدققة لحبس الكتب، وَقَفَ الكُتُبَ: وضع الكتب وقفاً في سبيل الله على خزانة أو مؤسسة أو مدرسة، ويسمى أيضاً التَّحْبِيس والتَّسْبِيل والتَّأْيِيد والتَّحْرِيم والتَّصَدُق والتَّخْلِيد⁸، (ex-، Mettre en biens de mainmorte, constituer habous (ex-، dono)⁹؛ التَّحْبِيس، وهو الوقف، وهو مصطلح وظفه أهل المغرب والأندلس¹⁰.

ثقافة وقف الكتب في المجتمع الإباضي مشرقاً ومغرباً:

أ. في عُمان: ثقافة الوقف أو التَّحْبِيس في المجتمع الإباضي مشهورة وعريقة مشرقاً ومغرباً، أما في المشرق العربي وفي عُمان تحديداً فقد شكلت ظاهرة وقف الكتب مجالاً رائجاً

تنافس فيه المحسنون من الأمراء والوجهاء وأهل العلم، ومن أشهر الخزائن الوقفيّة في التّاريخ العماني: خزانة الشّيخ عمر بن سعيد ابن معدّ البهلوي (ت: الخميس 21 جمادى الأولى 1009هـ)، وتُعرف بخزانة المعدّ في بهلا، يتصدّر محتوياتها منسوخاته بخطه، ثم منسوخات ولده سعيد، وأكثرها عُرضت عليه وصحّحها، كما خصّص الشّيخ عمر بن سعيد مالاً وقفياً في حياته وبعد مماته لنسخ الكتب وتجليدها وصيانتها، وإبدال الثّالّف منها، واستمرت الاستفادة من ريع هذا الوقف أكثر من مئتي سنة بعد وفاته¹¹.

وتعدّت أوقاف المخطوطات العمانيّة المحيط العماني لتشمل أقطاراً أخرى، من ذلك وقف كتاب "مختصر الخصال لأبي إسحاق الحضرمي"، في خزانة الشّيخ أحمد بن حمد الخليلي، رقم 113، في أولها: "هذا الكتاب الشّريف أوقفه الشّيخ محمّد بن ناصر بن خلف العلويّ الإباضي يتعلّم منه من شاء من المسلمين أهل الاستقامة في الدّين بالبلد المحروس نفوسة من بلدان أهل المغرب، وقفاً مؤبداً إلى يوم القيامة؛ كتبه سالم بن محمّد بن خميس المنذري بيده يوم 16 شعبان 1273هـ؛ وهذا الواقف نفسه عين نسخاً أخرى من الكتاب وقفاً لأهل مصر وجزيرة جربة ووادي ميزاب¹².

ومنه أيضاً: وقف كتاب "منهاج الظّالين وبلّاغ الرّاعيين" القادم من عُمان إلى مزاب بقول صاحبه: "أوقفت هذا الكتاب على كافة علماء بني مصعب، من كان ساكناً منهم بأرض مزاب، طلباً لإحياء هذه الملة الزّهراء والدّعوة الغراء، من أهل الاستقامة، من أمة محمّد صلى الله عليه وسلّم، طلباً لما عند الله من الثّواب، وخوفاً من العقاب، كتبه موقفه: الفقير إلى الله، ناصر بن خميس بن سعيد بن علي بن مسعود بن عبد الله الرّسّاتي بلداً، والعماني موطناً، والوهبي مذهباً، لا يباع ولا يُشترى ولا يوهب، ولا يخرج من أرض مزاب إلى أن يرث الإرث - كذا - خالقها، ويكون قبض هذا الجزء وتصرفه بيد: الشّيخ الولي، محمّد بن بلقاسم الغرداوي المصعبي _رضيه الله_؛ كتبه: ناصر بن خميس سعيد العماني، بيده¹³. الموقّف هو نجل مؤلّف الكتاب، والمتصرّف في الوقف هو الشّيخ محمّد بن أبي القاسم بن يحيى الدّاوي الشّهيرب" الشّيخ حمو والحاج" (1635 - 1716م).

وأنت تلاحظ تواصل الإباضيّة مشرقاً ومغرباً ثقافياً وحضارياً، بإهداء الكتب النّفيسة لبعضهم البعض، ووضعها وقفاً لطلبة العلم ابتغاء الأجر والثّواب، ولا يسع المجال هنا لبسط القول وحشد الأمثلة والنّمادج.

ب. في شمال إفريقيا: برزت ظاهرة تحبب ووقف الكتب في المجتمعات الإباضية بشمال إفريقيا، في نفوسة وجربة ووادي مزاب خصوصاً وهو موضوع هذه الدراسة، أما جزيرة جربة فيحتاج الموضوع إلى بحث دقيق ومععمق في الأرشيف المتنوع بين خزنة العائلة البارونية، والأرشيف الوطني التونسي، وعند بعض الباحثين الخواص كالشيخ الدكتور فرحات بن علي الجعبري...، وقد وقفت مؤخراً على دراسة حديثة للباحث محمد المريمي تشير إلى أوقاف جماعة المصلين بحوم جزيرة جربة وهي جديرة بالقراءة والتأمل¹⁴.

والحق أنّ من أمثال أحباس الجريين على إخوانهم المصعبين كثيرة، ولعلّ من أبرزها أحباس الشيخ عمرو بن رمضان التّلاقي (ت: 1187هـ/1773م) والذي أثرى خزنة المسجد الكبير بغرداية أو جامع الشيخ سعيد الجري، باعتبار أنّ هذا الأخير هو مؤسس هذه الخزنة وفي عهده عرف المسجد العتيق توسعة كبيرة وهامة جداً.

ومنهم الحاج صالح عواله الجري وهو معاصر ومأزر للتّلاقي، وكذا الحاج رمضان بن سعيد ونّيش¹⁵.

تاريخ المكتبات بوادي مزاب: إنّ موضوع تاريخ المكتبات بمزاب موضوع بكرما يزال بحاجة إلى دراسة جادة لكشف مراحلها في تطورها، وقد يظهر للمتأمل فيه لأول وهلة ما يأتي:

1- عدد المكتبات وخزائن الكتب كبير بالنظر إلى الحجم الصغير للمجتمع المزابي.

2- المكتبات والخزائن في وادي مزاب ترجع من حيث ظهورها إلى عوامل منها:

- ما يدخل في إطار القيادة الروحية في كل قرية، كخزانات الكتب بدور التلاميذ المنتظمة بقرب المساجد؛

- وإما للنشاط العلمي لبعض العلماء ومحبي العلم، إذ يشرفون على إنشاء مكتبات خاصة تبقى من بعدهم، كخزانة الشيخ داود بن يوسف بن باحمد بن أيوب (ق 12هـ) بالعطف، وخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي (توفي: 1243هـ) بالقرارة، وخزانة الشيخ محمد بن عيسى-أزيار (ق 13هـ) ببني يزجن، وخزانة الشيخ بابّه بن يونس (توفي: 1280هـ) بغرداية، وغيرها كثير...

3- أقدم خزائن الكتب التي كشف البحث عنها على مستوى وادي مزاب _ بغضّ النظر عن وجودها أو اندثارها _ يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن العاشر الهجري، وقد توصلنا إلى حصر ذلك في:

1- خزانة دار التلاميذ بغرداية، التي أشرف على تأسيسها الشيخ سعيد بن علي الجبري (توفي: 927هـ) عندما هاجر من موطنه جربة واستوطن مزاب، حيث كون نهضة علمية أتت ثمارا يانعة من بعده، قال الشيخ إبراهيم أبو اليقظان _رحمه الله_ : "وقد ترك الشيخ كثيرا من نفايس الكتب التي يمتلكها حبساً في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف، فكان نفعها عامًا وخيرها شاملاً لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية... "16.

2- خزانة الشيخ سعيد بن علي الجبري الشخصية، إذ اعتنى بجمع العديد من الكتب القديمة وتركها وقفا بيد أبنائه وحفدته وهذا إلى جانب إشرافه على إنشاء مكتبة دار التلاميذ السابق ذكرها، ومبادرة الشيخ عمي سعيد تُعتبر مبادرة مبكرة للمكتبات [العامة] بوادي مزاب، وهي في علمنا أقدم مكتبة على مستوى قرى مزاب، ليس بالنظر إلى مُنشئها فحسب بل إلى الكتب التي كونها بها وبخط يده¹⁷، وذلك قبل وفاته.

3- خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بـ "الشيخ الميعز"، ببلدة العطف (كان حياً سنة 970هـ)، قال الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_ : "وقد ترك خزانة حافلة بنفيس الكتب في جميع الفنون النقليّة والعقليّة، ومن الأسف أنه أتت عليها أيدي التلاشي.. "18.

4- خزانة الشيخ الحاج محمّد بن سعيد الشهير بـ "الشيخ بالحاج" ببني يزجن (ق 10هـ)، إذ تشير بعض التقايد إلى أنه خُلف خزانة كتب¹⁹، وقد عثر على كتب له كثيرة نسخها في غضون القرن العاشر الهجري سواء في مزاب أو في جربة عندما رحل إليها للدراسة، كما عثر على طائفة من الكتب نُسخت له.

المكتبات القديمة ببلدة غرداية²⁰: بالنسبة لبلدة غرداية نشطت بها حركة نسخ الكتب وجمعها وإنشاء الخزائن والمكتبات نتيجة لتوسع الحركة العلمية وازدهارها، وهذا كأثر إيجابي من آثار النهضة الفكرية التي أقامها الشيخ عمي سعيد الجبري، وفي هذا الصدد يمكن حصر قائمة بأسماء خزائن الكتب القديمة التي كانت مراكز للإشعاع الثقافي، وذلك

من خلال بعض التّقايد على بعض المخطوطات القليلة والشّحيحة في هذا المجال، أو البقايا الماثلة من بعض هذه الخزائن إلى يومنا، وهذه الخزائن هي كالآتي التي رتبنا أسماءها زمنياً:

1. خزانة دار التّلاميد (تَدَارَتْ نُو إِرْوَانُ)²¹.
 2. خزانة الشّيخ عمي سعيد (ت: 927هـ).
 3. كتب جامع الشّيخ عمي سعيد.
 4. خزانة الشّيخ كاسي بن أيوب (1050-1150هـ).
 5. خزانة الشّيخ أبي بكر بن يوسف الغرداوي (ت: بعد 1206هـ).
 6. خزانة الشّيخ الحاج عمر بن صالح القاضي (ت: بعد 1200هـ).
 7. كتب الشّيخ بآبه بن محمّد بن أبي القاسم الغرداوي (ت: 1207هـ).
 8. خزانة الحُجاج²².
 9. خزانة الوقف²³.
 10. خزانة مشأخ غرداية.
 11. خزانة الشّيخ بآبه بن يونس الغرداوي (ت: 1280هـ).
 12. خزانة الشّيخ الحاج أبي بكر بن مسعود الغرداوي (ت: 1325هـ).
- مجموع المكتبات بوادي مزاب:** يبلغ عدد المكتبات بوادي مزاب أزيد من 118 مكتبة، وهي تتنوّع بين العام والخاص ويمكن تقسيمها كالآتي:
1. عامّة: مثل: مكتبة القطب ببني يزجن.
 2. تابعة للعشائر؛ مثل: مكتبة آل يدّربيني يزجن.
 3. تابعة للمعاهد والمدارس الحرة؛ مثل: مكتبة الإصلاح بغرداية والحياة بالقرارة.

4. تابعة للمساجد؛ مثل: مكتبة إرؤان (دار التلاميذ) بالعطف، ومثيلاتها موجودة في كل قرى الوادي.
5. تابعة للجمعيات الثقافية؛ مثل: مكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيس بغرداية.
6. خاصة؛ مثل: مكتبة الأستاذ الحاج سعيد بغرداية، والشيخ المطهري بمليكة والمختار الحاج الناصر ببني يزجن. وقد توصل أحد الباحثين وهو الأستاذ: محمد بن أيوب الحاج سعيد إلى ضبط الأرقام التالية:

المدينة	المكتبات العامة	المكتبات الخاصة
غرداية	14	38
بني يزجن	12	8
القرارة	5	10
مليكة	3	5
العطف	3	9
بنورة	3	3
بريان	2	3
المجموع	42	76

ويكون مجموع المكتبات في وادي مزاب **118** مكتبة إلى سنة 2009؛ وهي في ازدياد مستمر.

في حين يبلغ عدد خزانات المخطوط المفهرسة **18** خزانة، تولت مؤسسة الشيخ عمي سعيد في غرداية فهرسة **15** خزانة، ومنها فهرس خزانة دار التلاميذ (إروان) بالجامع الكبير بغرداية، والتي تضم **1193** مخطوطاً، في حين تولت جمعية الشيخ أبي إسحاق

إبراهيم أطفيش فهرسة ثلاثة خزانات أبرزها خزانة مخطوطات مكتبة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش القطب (ت: 1332هـ/ 1914م)، والتي تضم 206 مخطوطاً²⁴.

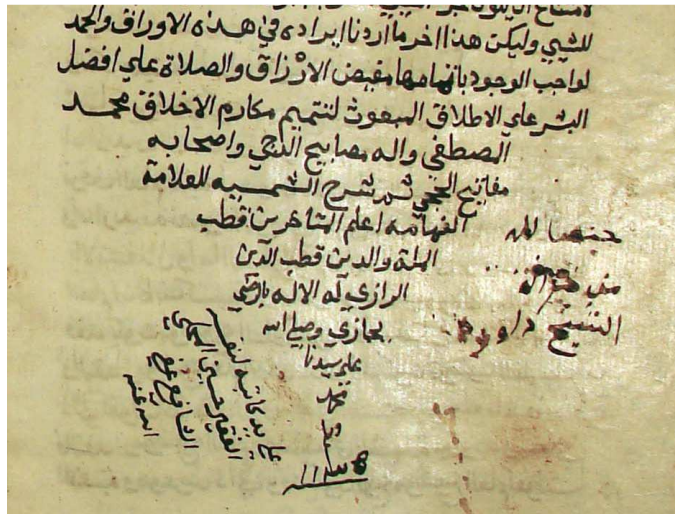
عبارات وصيغ وقف المخطوطات بخزانات وادي مزاب:

نماذج من نصوص التّحبيس مقتبسة من مخطوطات الخزانة العامّة بغرداية:

اشتغلت أساساً على مخطوطات الخزانة العامّة نظراً لكبر حجمها ووفرة المادة المخطوطة وتنوعها، ممّا يسمح باستعراض نماذج عديدة وبالتالي اكتشاف أكبر قدر من صيغ الوقف والحبس على النسخ المخطوطة بها، كما سمح وجود فهرس مطبوع بتذليل الصّعب في عمليّة البحث وعقد المقارنة بين مختلف الصّيغ.

لاحقاً استعنتُ بالأستاذ يحيى بوراس مشكوراً لأجل توفير صور رقمية من العينات المختارة للمقارنة والتعليق عليها.

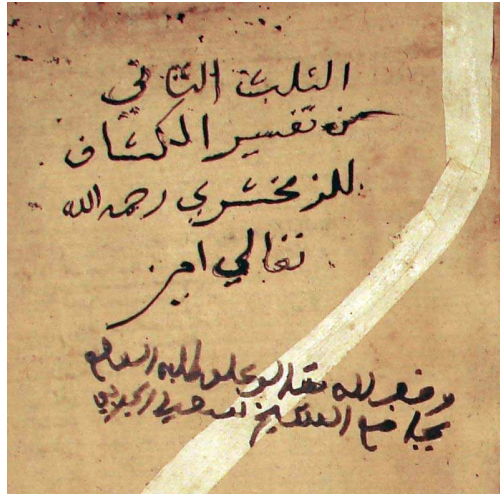
1- "تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية" (م35) تأليف قطب الدّين محمّد بن محمّد الرازي (ت: 766هـ / 1365م)، في ظ1، توقيف الكتاب من قبل الحاج داود "وهو عارية بيد ج إبراهيم بن أحمد بعد أن أعاره لولده عمنا عيسى بن حمو بن عيسى حمو؛ وفي ظ11؛ "حبس لله من خزانة الشيخ داود"²⁵.



2- "الكشاف" للزمخشري (ت: 538هـ/1144م)، (ك11).

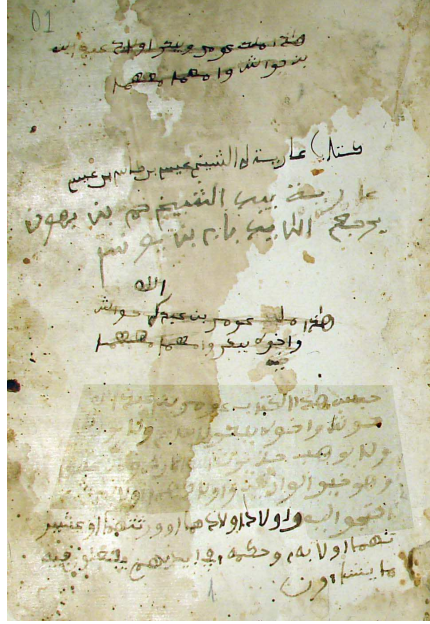
النَّاسخ: عبد الله بن علي بن محمّد بن علي الخزرجي / تاريخ النَّسخ: ظهر الأحد 9 أو 10 بقين من صفر 702هـ.

نقل النَّاسخ من نسخة الفقيه أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمّد الحضرمي المعروف بابن غنّمة التي نُقلت من نسخة محبّسة على مدرسة القاضي عبد الرّحيم بن البيسان، المسموعة على المؤلف؛ في 3 و، بقلم الشّيخ عمرو التّلاقي نقرأ: "وقف لله تعالى على طلبة العلم بحامع الشّيخ سعيد الحربي"²⁶، وفي 201ظ، "اتصل بيدي من موسى بن باب بن الشّيخ عيسى"²⁷.



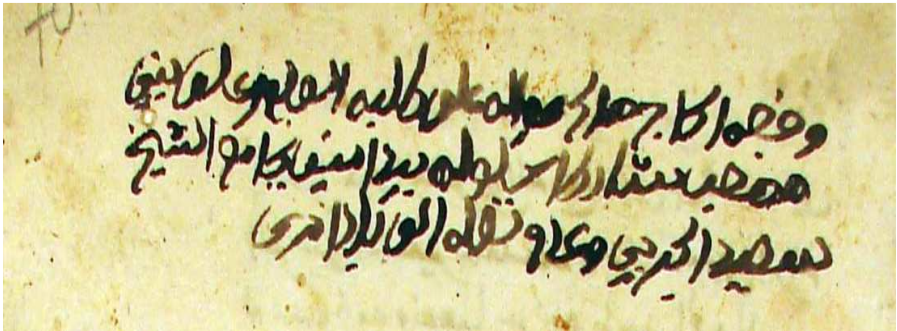
3- "لباب التّأويل في معاني التّنزيل" علي بن محمّد بن إبراهيم الخازن (ت: 741هـ/1340م). (ك1).

في الصّحفة 1، نص تمليكة منطمس باسم عومر وبيكر أولاد عبد الله بن حواش "وأُمّهما معهما"، وقد حسبه عومر بن عبد الله حواش وأخوه بكر لا يساع ولا يورث ولا يوهب، فهو موقوف في أولادهما أو ورثتهما أو عشرتهما إن احتاجوا إليه، وحكمه في أيديهم؛ ونقرأ فيها: "الكتاب عارية للشّيخ عيسى- بن كاس بن عيسى-، ثم عارية بيد الشّيخ حمو بن بهون ليرجع إلى بابه بن يونس"²⁸.



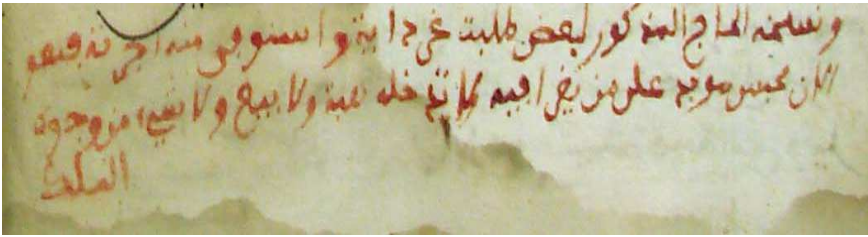
4- "لباب التأويل في معاني التنزيل" علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (ت: 741هـ/1340م). (ك2).

في 1 وتوقف المخطوط من قبل الحاج صالح عواله على طلبة العلم من بني مصعب شارطاً حلوله سد أمين جامع الشيخ سعيد الحربي، وعدم نقله إلى بلد أخرى وقد حجت هذه العبارة بورقة الصقت على ق1 و²⁹.



5- "سراج القارئ المبتدئ" ابن القاصح العذري، علي بن عثمان بن محمد البغدادي (ت: 801هـ/1398م). (م55).

نا: الحاج أبو القاسم بن ج يحيى بن أبي القاسم بن محمد بن موسى المصعبي نسباً الغرداوي مسكناً الإباضي مذهباً / عشية الإربعاء 12 ربيع الآخر 1067هـ؛ "نسخه الحاج المذكور لبعض طلبة غرداية، واستوفى منه أحرته، فهو الآن محسّس على من يقرأ فيه، لا تدخله هبة ولا بيع ولا شيء من وجوه الملك"، وفي 137 ظ أسف الصفحة بمداد أحمر وبنسخ مغربي قديم نقرأ "سعيد بن أحمد الشماخي" ³⁰.



6- "شرح العقائد في علم الكلام لعمر النسفي"، سعد الدين التفتازاني (ت: 793هـ/1390م). (م27).

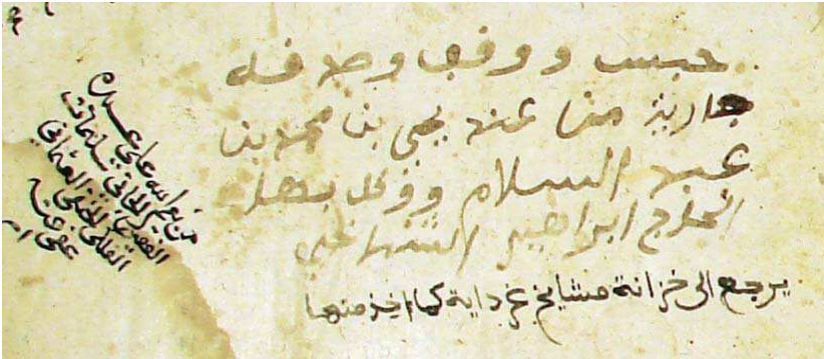
نا: فريد آدم مبارك أحمد عين قوام [كذا] / 6 محرم 919هـ، خط رقعة.

في ظج 1 نقرأ: "حس في سبيل الله، من خزانة الشيخ الحاج داود الشيخ" وتكررت في ³¹ و1.

7- "شرح منظومة أبي العباس الجزائري في التوحيد": أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسيني السنوسي (ت: 895هـ/1490م)، (ك13).

نا: [محمد بن عطية الليشاني ببلد بسكرة] / صبيحة الجمعة 8 شعبان 1002 / مدينة بسكرة.

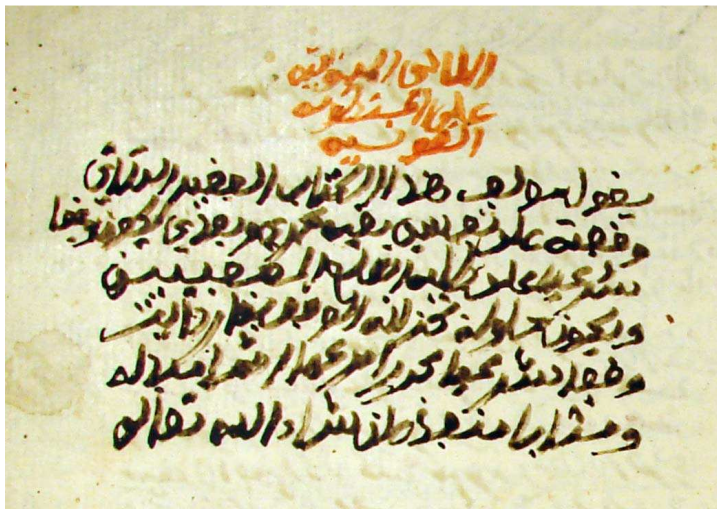
قوبلت النسخة بأصل المؤلف، تملكه سليمان الفلكي الحنفي العثماني، وفي 1 ونقرأ ما يفيد "صدقة من قبل يحيى بن محمد بن عبد السلام، وكلّ بها الحاج إبراهيم الشماخي" وبخط الشيخ الحاج محمد أطفيس نقرأ: "يرجع إلى خزانة مشايخ غرداية" ³².



8- "اللائي الميمونة على المنظومة التونية"، عمرو بن رمضان التلاقي الجري (ت: 1187هـ/1773م)، (م25).

نا: عمرو بن رمضان الجري التلاقي / الثلاثاء 27 رجب 1172هـ.

في 1 ونقرأ بخط المؤلف ما يلي: "وقفته على نفسي بقبّة عمري، وبعدي يكون وقفاً شرعياً على طلبة العلم المصعبين، ويكون حلولة بخزانة الوقف بغاردايت، وقفاً شرعياً محرراً [مرغماً] أتماً مبدّله، ومثاباً منفذه إن شاء الله تعالى"؛ وفي ظ ج 1 "وقف لله تعالى من كتب الشيخ بابا بن محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحيى" ³³.



9- "النور"؛ عثمان بن محمد الأصم، (ت: 631هـ/1234م)، (ك30).

نا: عمرو بن سعيد بن علي الخيري الجري / النصف 1 من ق 10هـ.

في الهامش 1 وويخط الشيخ أبي القاسم بن يحيى المصعبي الغرداوي نقراً: "من كتب الشيخ سعيد بن علي الجري"³⁴.

10- "شرح القدوري" (مجهول حنفي)، (م09). نا: أحمد بن عبد القادر بن

مصباح / ظهر الثلاثاء 19 رجب 1150هـ..

في ظ ج1 توقيف الكتاب من قبل أبي عامر قاسم بن عيسى- بن موسى بن قاسم بن

أحمد بعد أن اشتراه بتاريخ 19 فيفري 1961م / 9 جمادى الثاني 1339هـ.³⁵

11- "قناطر الخيرات"، إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ/1350م)

(ك20).

نا: [لعله صالح بن قاسم بن صالح، من ذرية الشيخ أم سعيد / أواخر ق13هـ].

في 1 وتوقيف من قبل "أحمد بن امرأ محرز"³⁶.

12- "قواعد الإسلام"، إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ/1350م)

(م59)

نا: محمد بن عبد الله بن بلقاسم بن زكريا التندمري بلداً / 28 جمادى الأول 333هـ؟

في آخر صفحة نص يفيد توقيف الكتاب من قبل صالح بن أبي القاسم بن أم صالح

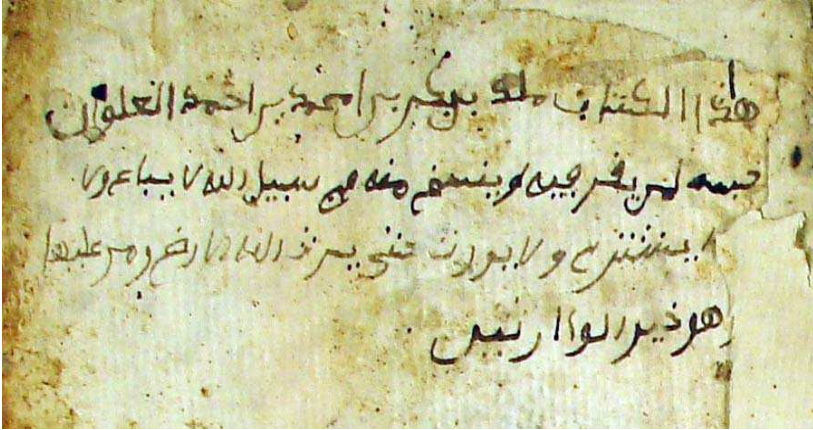
بعد أن اشتراه من البائع له سلمان الجري³⁷ بمبلغ 3 ريالات ونصف³⁸.



13- "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ/1360م) (38م).

نا: سليمان بن حرز الله القلاي الجري وإبراهيم بن أحمد بن إبراهيم... المصعبي الغرداوي / ربيع الآخر 1141هـ.

تداول على نسخه ناسخان، في ظج 2 "...ملك بوبكر بن امحمد بن أحمد العلوان حسسه لمن بقرأ فيه وينسخ منه في سبيل الله، لا باع ولا يشتري ولا يورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" ³⁹.



14- "التصريح بمضمون التوضيح"، خالد بن عبد الله الأزهري (ت: 905هـ/1499م) (ك 14).

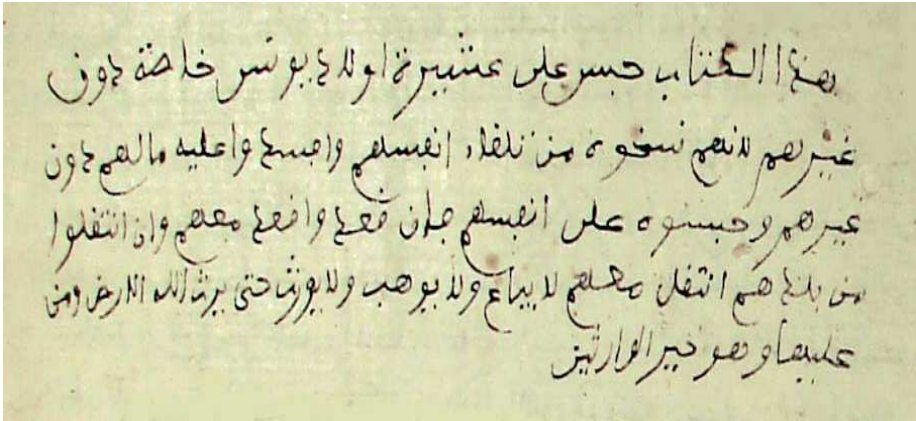
نا: محمد بن [...] / 8 شعبان 1182م.

في 1ظ توقيف الكتاب من قبل دح بن الحاج الحبيب على عقبه، مؤرخ في أواسط صفر 1255، وفي الورقة المتصدرة للكتاب "حبس أحمد بن امحمد آل محرز" 40.

15- "القاموس المحيط والقابوس الوسيط" الفيروزآبادي (ت: 817هـ/ 1415م) (ك 06).

نا: أبو القاسم بن أيوب بن محمد بن زكرياء المصعبي - سعيد بن أحمد الشماخي / 1078هـ

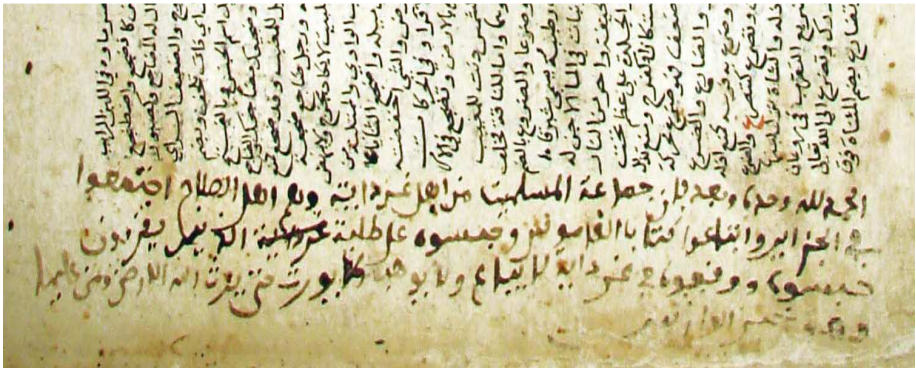
تصدره ورقة بها نص توقيف هذه عبارته: "هذا الكتاب حبس على عشيرة أولاد يونس خاصة دون غيرهم، لأنهم نسخوه من تلقاء أنفسهم وأفسدوا عليه أموالهم دون غيرهم فحيثما انتقلوا ينتقل معهم، وإن قعدوا بقعد معهم، لا يباع ولا يوهب ولا يورث..." 41.



16- "القاموس المحيط والقابوس الوسيط" الفيروزآبادي (ت: 817هـ / 1415م) (ك15).

د.نا / د.ت.ن [حوالي ق10هـ].

في 2 ونص تحبب: "الحمد وحده؛ وبعد فإن جماعة المسلمين من أهل غرداية وهم أهل الصلاح اجتمعوا في الجزائر وابتاعوا كتاب القاموس وحبسوه على طلبة (غرداية) الذين يقرؤون، حبسوه ووقعوه في غرداية، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" ⁴².



17- "موارد الرّغب ومرائد الأرب في بيان الحاجة لمعرفة أشعار العرب" (م10).

عبد الله بن عبد القادر العوفي (ت: 1071هـ/1660م).

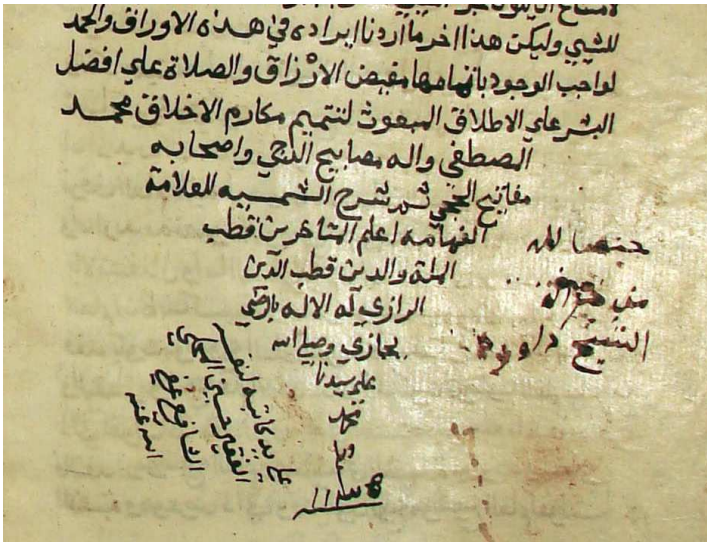
نا: محمود بن الظاهر بن عبد القادر بن محمّد المشهور بأمه حواء / عصريوم الجمعة
انسلاخ رجب 1235هـ

في 1و "وقفه كوله ج إبراهيم بن محمّد لمعهد عمي سعيد في 4/9/75⁴³.

18- "تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية"، قط الدين الرازي
(ت: 766هـ/1365م) (م35).

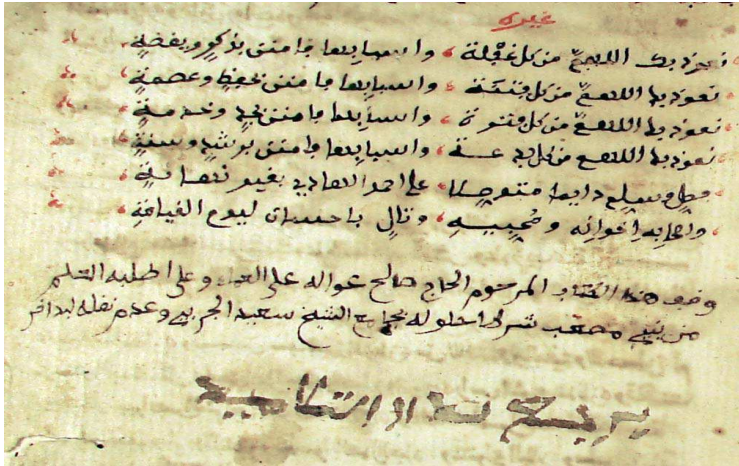
نا: حسين المحلي الشافعي / 1138هـ.

في ظ ج 1 نقرأ توقيف الكتاب من قبل الحاج داود "وهو عارية بيد ج إبراهيم بن أحمد
بعد أن أعاره لولد عمنا عيسى بن حمو بن عيسى بن حمو"، وفي ظ 111 "حبس لله في خزنة
الشيخ داود"⁴⁴.



19- "السّير"، أبو العباس أحمد سعيد بن عبد الواحد الشّماخي، (ت: 928هـ/1522م) د.غ 195

د.نا / د.ت.ن [قديم نسبياً]؛ الكتاب محبّس على طلبة العلم المصعبيين، مع شرط حلوله بجامع الشّيخ سعيد الجري، من قبل المرحوم الحاج صالح عواله، وقبله تملّيقة أقدم باسم منظمس بفعل عمدي، ثم "يرجع لدار التّلاميذ"⁴⁵.

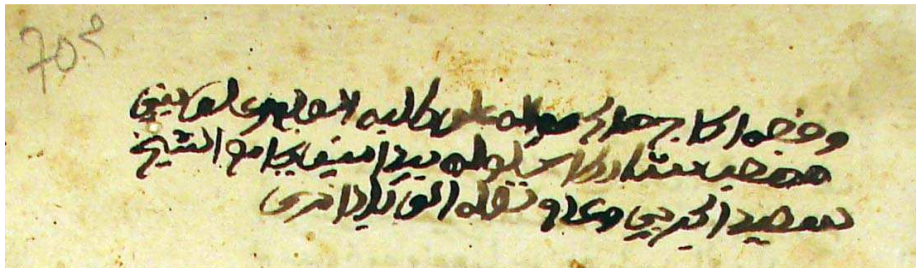


20- "كشف الأسرار عن علم حروف الغبار"، القلصادي (ت: 891هـ/1487م)

(م70).

د.نا / د.ت.ن [ح.ق 12هـ]

في 1 وويخط الشّيخ عمر التّلاقي: "وقفه ح.صالح عواله على طلبة العلم وعلى بني مصعب، شارطاً حلوله بيد أمين بجامع الشّيخ سعيد الجري وعدم نقله إلى بلد أخرى"⁴⁶.



خاتمة و خلاصة: يلاحظ المتصفح لفهارس مخطوطات الخزانة العامة بغرداية وفرة النسخ المخطوط المحبسة على طلبة العلم بمختلف الصيغ، وهو الغالب على كل الكتب المحبسة في الخزانات العامة في مختلف قرى وادي مزاب، وبعد قراءة متأنية لمجموع العينات المختارة لاحظنا ما يلي:

- 1- كثرة النسخ المحبسة في الخزانات العامة بخلاف الخزانات الخاصة، التي يكثر فيها عبارات التملك فقط.
- 2- انتقال النسخ من شخص إلى شخص ومن مكان إلى مكان بالبيع والشراء ثم التحييس؛ ما يعزز اهتمام سكان بعض القرى باقتناء الكتب بالشراء خاصة مثاله: كتاب "الشرح الفريد على عقيدة التوحيد" للقطب أطفيش (ت: 1332هـ / 1914م) (م05). نا: سعيد بن ج علي بن ج سعيد بن ج علي بن عمر بن تعاريت الجري / الثلاثاء 15 رجب 1316هـ / بلد يسجن. نسخه الناسخ لنفسه، وفي 1، وتليكات: "أحمد بن باب بن عمر الزعبي"، "السيد حم بباغه"⁴⁷. فالكتاب ناسخه جري، في بلد يسجن، والذي تملكه وحازه من بلد غرداية.
- 3- اهتمام العلماء والوجهاء وبعض العامة باقتناء الكتب لأنفسهم ولمن ينفع بها ابتغاء الأجر والثواب الجزيل.
- 4- تنوع فنون العلم في الكتب المحبسة، بحيث لم تكن محتكرة لفن دون آخروان تضافرت في أمهات الكتب.
- 5- تنافس واضح في الاقتناء والتملك ثم التحييس، ودفع الغالي والتفيس في سبيل حيازة المصادر المخطوطة الهامة.
- 6- الاهتمام باقتناء الأصول ونوادير النسخ أوان تأليفها ونسخها وإن كلف ذلك أثماناً باهضة أحياناً.
- 7- اختلاف عبارات الوقف: حبسه، وقفه، حبس ووقف ...
- 8- وجود تحبيس على الأفراد، أو على العائلة، أو العشيرة، أو البلدة، أو المجموعة (المصعبين)، أو عامة القراء ...
- 9- وجود تحبيس قديم على نسخة، قد يتلوه تحبيس جديد على نفس الكتاب.
- 10- إتاحة الكتب للقراء والإعارة (عارية) بعد تحبيسها في الخزانات العامة.

مصادر ومراجع البحث:

- ¹ - ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، ط1، 1999.
- ² - صالح بن عمر سماوي، -العزّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب المطبوعة العريية غرداية، ط1، 2005.
- ³ - امحمد بن يوسف أطفيش، شرح كتاب النّيل، ج12.
- ⁴ - خميس بن راشد العدوي، الوقف العلمي في بهلا ماضيه وحاضره نشر جامعة نزوى، عمّان، ط1، 2016.
- ⁵ - أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي المطبوعة الوطنيّة، مراكش - المغرب، ط2، 2004.
- ⁶ - أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي الخزانة الحسنيّة، الرّباط - المغرب، ط2، 2004.
- ⁷ - سلطان بن مبارك الشّيباني، ألف باء المخطوطات العُمانيّة، ذاكرة عمّان مسقط ط1، 2018.
- ⁸ - فهرس مخطوطات خزانة مكتبة القطب أطفيش ببني يزجن، مجلد مصفف ط1، 2013.
- ⁹ - محمّد المريمي، أهل جزيرة جربة من خلال أوقاف الأباضية وهكداش بيعة الغربية اليهوديّة، مركز النّشر الجامعي، تونس، ط1، 2018.
- ¹⁰ - بشير الحاج موسى، نحو دراسة حياة وأثار الشّيخ سعيد بن علي الجري، بحث مرقون.
- ¹¹ - فهرس مخطوطات خزانة أت أفضل ببني يسجن، جمعيّة التّراث.
- ¹² - فهرس مخطوطات الخزانة العامّة، قسم التّراث والمكتبة، مؤسّسة الشّيخ عمي سعيد، ط1، أكتوبر 2002.

- ¹³ - مصطفى حمودة، ورقة بحثية إلى المؤتمر الدولي الثاني للتراث العربي والإسلامي 21 - 22 فبراير 2018، الإسماعيلية، مصر.
- ¹⁴ - مجموعة الصور الفوتوغرافية المدرجة، جميعها من تصوير قسم التراث والمكتبة، بمؤسسة عمي سعيد، (الخزانة العامة بغرداية).

الهوامش:

- ¹ - ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ط1 1999، ص111.
- ² - نفسه، ص168.
- ³ - للثقافة المعرفية أحيل القارئ الكريم إلى دراسة شافية وافية تحمل الكثير من المعلومات المهمة وهي: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، تأليف: صالح بن عمر سماوي، المطبعة العربية غرداية، ط1 2005. تقع في ثلاثة أجزاء، ج2، ص 675 - 726.
- ⁴ - هم طلبة العلم، باللغة المزابية، وهم المتدرجون في مختلف العلوم وخاصة الشرعية منها، ومنهم يُنتقى خلفاء العزابة في حلقة المسجد.
- ⁵ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وقف، المجلد التاسع، ص359.
- ⁶ - ينظر: امحمد بن يوسف أطفيش، شرح كتاب النيل، ج12، ص453.
- ⁷ - ينظر: خميس بن راشد العدوي، الوقف العلمي في بهلا ماضيه وحاضره نشر جامعة نزوى، عُمان، ط1 2016، ص7 - 8.
- ⁸ - ينظر: أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، المطبعة الوطنية مراكش - المغرب، ط2، 2004، ص110 - 133.
- ⁹ - ينظر: أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط - المغرب، ط2، 2004، ص338.
- ¹⁰ - ينظر: نفسه، ص61.
- ¹¹ - سلطان بن مبارك الشيباني، ألف باء المخطوطات العُمانية، ذاكرة عُمان، مسقط، ط1، 2018، ص360.
- ¹² - نفسه، ص363.
- ¹³ - ينظر: فهرس مخطوطات خزانة مكتبة القطب أطفيش بني يزجن، مجلد مصنف، ط1، 2013، ص36.
- ¹⁴ - ينظر: محمد المريبي، أهل جزيرة جربة من خلال أوقاف الأباضية وهكداش بيعة الغريبة اليهودية مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2018، كله.
- ¹⁵ - ينظر: فهرس مخطوطات خزانة مكتبة القطب أطفيش، ص52 - 53.

- ¹⁶ - ملحق السير، إبراهيم أبي اليقظان، مخ، ص 06.
- ¹⁷ - بشير الحاج موسى، نحو دراسة حياة وأثار الشيخ سعيد بن علي الجري، ص 13.
- ¹⁸ - ملحق السير، ص 27.
- ¹⁹ - فهرس مخطوطات خزانة آت أفضل ببني يسجن، جمعية التراث، ص 40، المخطوط رقم: 137.
- ²⁰ - فهرس مخطوطات الخزانة العامة، قسم التراث والمكتبة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط1، أكتوبر 2002 ص: ج.
- ²¹ - هي دار التلاميذ، باللغة المزابية.
- ²² - حُجَّاج: لقب عائلي شهير بقصر غرداية إلى اليوم.
- ²³ - هكذا ورد ذكرها في بعض المخطوطات، ويمكن أن تكون اسمًا ثانيًا لخزانة دار التلاميذ أو خزانة الحجاج أو خزانة مشايخ غرداية.
- ²⁴ - مصطفى حمودة، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثاني للتراث العربي والإسلامي، 21 - 22 فبراير 2018، جامعة الإسماعيلية، مصر.
- ²⁵ - فهرس مخطوطات الخزانة العامة، غرداية، ص 99.
- ²⁶ - نفسه، ص 5.
- ²⁷ - نفسه، ص 5.
- ²⁸ - وهو الجامع الكبير بغرداية.
- ²⁹ - نفسه، ص 7.
- ³⁰ - نفسه، ص 9، وفيه إشارة دقيقة إلى أن الناسخ قد قبض ثمن جهده، ولذلك استوفى أجرته، وعليه يمكن بعد ذلك تحبسه على كل من يقرأه.
- ³¹ - نفسه، ص 23.
- ³² - نفسه، ص 30.
- ³³ - نفسه، ص 40-41.
- ³⁴ - نفسه، ص 42.
- ³⁵ - نفسه، ص 60-61.
- ³⁶ - نفسه، ص 66.

³⁷ - لعله سلمان بن حرز الله القلابي الجربي (حي في ن 1 من ق 12هـ)، نفسه، ص 78.

³⁸ - نفسه، ص 67.

³⁹ - نفسه، ص 79.

⁴⁰ - نفسه، ص 79.

⁴¹ - نفسه، ص 93.

⁴² - نفسه، ص 93.

⁴³ - نفسه، ص 95.

⁴⁴ - نفسه، ص 99.

⁴⁵ - نفسه، ص 111 - 112.

⁴⁶ - نفسه، ص 128.

⁴⁷ - فهرس مخطوطات الخزانة العامة، غرداية، ص 22 - 23.